أفكار وآفاق، المجلد 11، العدد 1، السنة 2023 الصفحة 101- 125

القواعد البنائية لتأسيس منهج النظرية العلمية التاريخية عند علماء الإسلام

Structural rules for establishing the historical scientific theory approach for Islamic scholars

Les règles structurelles de la méthode de construction de la théorie scientifique historique chez érudits de l'islam

د. مصطفى داودي

جامعة الشهيد زيان عاشور، الجلفة

تاريخ الإرسال: 2020-09-05 - تاريخ القبول: 2021-04-20 - تاريخ النشر: 2023-02-27

ملخص

يعالج هذا المقال الأسس التي بنى عليها علماء الإسلام منهج النظرية العلمية التاريخية، موضحين في البداية واقع التفكير العربي قبل ظهور الإسلام والذي كان يقوم على مسارين أساسين هما: أيام العرب" و"الأنساب"، وكيف انعكس على التفكير العلمي البدائي عندهم، ولما جاء الإسلام غير جذريا ذلك التفكير بناء على قواعد جديدة كان لها أبلغ الأثر في بناء نظرية جديدة أسست للمنهج التاريخي العلمي، قوامها: العقيدة الإسلامية ودورها في بناء العقل التاريخي العربي؛ والظروف المستجدة في العصر الإسلامي ومدى تأثيرها المباشر على تطور الكتابة والتفكير التاريخيين عند العرب.

الكلمات الدالة: القواعد البنائية النظرية العلمية التاريخية؛ علماء الإسلام؛ التفكير العربي؛ أيام العرب؛ الأنساب؛ المنهج التاريخي.

Abstract

This article deals with the structural rules of establishing the historical scientific theory approach by Islamic scholars. It explains the reality of Arab thinking before the emergence of Islam, which is based on two basic paths: 'Days of the Arabs' and 'genealogies. And when Islam came, it radically changed that thinking based on new rules that had the greatest impact in building a new theory that established the scientific historical method; its strength was based on: The Islamic faith and its role in building the Arab historical mind; The emerging circumstances in the Islamic era and the extent of their direct impact on the development of historical writing and thinking among the Arabs.

Keywords: structural rules; historical scientific theory; Islamic scholars; days of the Arabs; genealogies; the historical approach.

Résumé

Nous traitons dans cet article les règles structurelles de construction de la méthode de la théorie scientifique historique par les érudits musulmans. Dans un premier temps, nous décrirons la réalité de la pensée arabe avant l'émergence de l'islam, en mettant en exergue sa construction sur deux principes fondamentaux, le temps des Arabes et la généalogie et les effets de cette pensée sur le niveau de la pensée scientifique au cours de cette période. Dans un second temps, nous expliquerons comment l'Islam a radicalement changé cette pensée sur de nouvelles règles de pensée permettant ainsi la construction d'une nouvelle théorie établie sur la méthode scientifique historique et l'émergence d'un l'esprit historique arabe.

Mots-clés: règles structurelles; la théorie scientifique historique avant l'émergence de l'islam; les temps des Arabes; la généalogie.

مقدمة

جبل الإنسان منذ بدء الخليقة إلى اليوم على تحسين أحواله وأوضاعه، مارّا في ذلك بمراحل فارقة، الوجه المضيء فيها هو الإبداع في تحقيق التنمية والتطور، وهو ما أنبى عنه ما يعرف بالوثبات الحضارية عند الشعوب، حتى وصل إلى ما نراه عليه اليوم من تطور مادي فاق كل تصور، لكن حينما نتأمل في هذه الوثبات الحضارية، والتسارع الإبداعي اللافت فيها، نجد بأن مدار الرحى كله يعود إلى التحكّم الجيد في علم المناهج ، فكلما كانت هذه المناهج قوية قويمة ودقيقة، كلما ازداد التمكّن والتسارع في الإبداع الحضاري، وكلما حدث فيها الاهتزاز والإهتراء والخواء، كلما انعكس سلبا على أصالة وتميز البحوث العلمية، ومن ثم يسود الغبش وعدم الوضوح في النتائج، مما يؤثر في واقع المجتمع الإنساني كوجهة رئيسية لتلك البحوث العلمية.

واللاّفت أيضا منذ بدء الخليقة وإلى نزول رسالة الإسلام الخاتمة، أننا لم نجد عند البشر ومن ثمة مسار حضاراتهم المختلفة قبل الإسلام ربط بين مسألة الدّين والمنهج العلمي، مثلما حدث عند المسلمين الذين وجدوا في القرءان المنزّل وسير نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم من خلال سنته، ترسيخا ودعوة صريحة وضمنية تؤسس لمناهج العلوم، بناء على قواعد عميقة تجاري الفهم الصحيح لسنن هذه الحياة، وقد أسست هذه القواعد للتفكير العميق أيضا والرصين الذي أسس للفكر العقلي عند المسلمين، بما جعله يمهّد الطريق لثورة حقيقية في تطوير علم المناهج بما يتلاءم مع سنن الله التي أراد

في هذه الحياة، وكان من ثمرات هذا البناء الفكري للعقل الإسلامي، تأسيس مناهج نظرية جديدة، ومن ذلك منهج النظرية العلمية في التاريخ، والتي أحدث بها علماء الإسلام ثورة حقيقية مكّنتهم من التأسيس لعديد النظريات في العلوم الاجتماعية والإنسانية، كعلم الاجتماع، وعلم الأديان وغيرها، وهو ما جعلهم يتحكّمون في الإبداع الحضاري الإنساني خلال هذه المرحلة التاريخية.

ومن هنا آثرنا أن نعالج بالدراسة، وبرؤية استقرائية تحليلية طريق التأسيس لمنهج النظرية العلمية في التاريخ عند علماء الإسلام، والذي كان له الأثر البليغ على المنتج العلمي فيما بعد ومدى أصالته وتميزه، وما أحدثه من ثورة في الإبداع العلمي في المجالات الاجتماعية والإنسانية.

ولمعالجة هذا الموضوع والتعمق فيه ننطلق من الإشكال التالي: ماهي القواعد البنائية التي تأسس من خلالها منهج النظرية العلمية في التاريخ عند علماء الإسلام؟

لم تعر الدراسات التاريخية العربية كثيرا لعلم المناهج الأهمية الكبرى في غاياتها البحثية، وغلب عليها تغليب مضامين البحث المعرفي على حساب الأسس المنهجية التي تفضي إلى تلك المضامين في صورة تظهر عدم الإدراك بمدى أهمية علم المناهج في الإبداع المعرفي، وأنه لا يمكن أبدا الحديث عن وثبات حضارية شاملة دون التحكم الجيد في علم المناهج، ومراعاته بالإحاطة والتطوير والمواكبة، لذلك رأينا في دراستنا هذه بأنه من الأهمية بمكان الوقوف على هذا الجانب، وخصصنا تركيزنا هذه المرة حول القواعد المؤسسة لمنهج النظرية التاريخية عند علماء الإسلام لما تكتسيه من أهمية سواء في بعدها المعرفي من حيث البناء، أو في بعدها الحضاري من حيث إعادة منابع الإبداع النظري إلى أصولها ومنابتها الأصلية بدل انتحالها ومحاولة إظهارها في غير أصلها ومنبتها.

ولأجل التعمق في هذا الموضوع بغية الوصول إلى غاياته المرجوة فإننا اعتمدنا بصورة أساسية على المنهج التاريخي الذي يعد المنهج الأقوى الذي يمكننا الاعتماد عليه في سبيل تحقيق غايتنا المرجوة لاعتبار أن طبيعة الموضوع التاريخية من حيث التأسيس النظري تحتم ذلك، وينبغي الإشارة إلى أن استعمالنا لهذا المنهج لا يقتصر على الصياغة والسرد التاريخيين المتعلقين بالموضوع، وإنما اعتماده أعمق من ذلك بكثير، عمق المنهج التاريخي الذي جوهره قراءة الروايات المتعلقة بالموضوع وتقليبها وممارسة جواهر قواعد المنهج

القائمة على النقد والتمحيص، واستعمالنا لهذا المنهج في دراستنا هذه يتعلق أساسا بالروايات المعنية بتأسيس المنهج العلمي في الإسلامي خاصة من بابه النظري وحتى في جانبه العملي من خلال واقع تطور هذا المنهج وفق الكتابات التاريخية الإسلامية خلال العصر الإسلامي حتى عهد عبد الرحمان بن خلدون .

1. قراءة نقدية للدراسات المتعلقة بتأسيس منهج النظرية التاريخية عند علماء الإسلام

بتنا نؤمن بأن البناء التاريخي للمعارف الإنسانية قد سار في طريق طويلة ومعقدة ومتفاوتة الأهمية من حيث المحطات الجغرافية والإثنية والزمنية، حيث تفاوتت المساهمات في إغناء المعرفة وإثرائها بين منطقة وأخرى وشعب وآخر وبين مرحلة زمنية وأخرى، كما أن التواصل ما بين المعارف الإنسانية على مستوى التأثيرات المتبادلة ما بين الحضارات، قد صار أمرا ثابتا على مر الأزمنة، ومنه نخلص بأن المعرفة الإنسانية في مجملها واحدة وإن تشعبت فروعها واختلفت منطلقاتها وأماكنها ومصادر أقوامها وشعوبها (كوثراني، 2013، ص 18).

وقد أكد ذلك جورج سارتون حينما قال:" ... ربما وصل بعضهم أحيانا إلى الحل دون معونة من بعض آخرين، أو ربما وصل الحل أحيانا أخرى إلى آذانهم أو عيونهم فقلوه أو سرقوه أو أعادوا اختراعه " (سارتون، 1986، ص 66)، فالتفكير العلمي الموصل إلى المعرفة هو في حقيقته نتاج العديد من العمليات الحسية والعقلية التي يشترك فيها كل جهد إنساني هادف إلى الوصول إلى الحقيقة (كوثراني، 2013، ص 20).

وفي قراءتنا للدراسات حول تأسيس قواعد النظرية العلمية عند المسلمين نجد بأنها تتضارب إلى حدّ التصادم في أحيان كثيرة، فالدراسات الإستشراقية في مجملها وقعت في أخطاء فادحة في أحكامهما عن التراث العربي الإسلامي ومرد هذا هو أن هؤلاء الدارسين قد وقعوا تحت تأثيرات متعددة ومتنوعة منها ما يرجع إلى نزعة عنصرية، ومنها ما يرجع إلى تعصب ديني، ومنها ما يعود إلى محدودية الإطلاع والجهل بالفكر الإسلامي وما حققه من ابتكار وإبداع (داودي، 2012، ص 8). الا أن هناك في ذات المدرسة الإستشراقية، من تحلوا بالموضوعية في البحث وكانوا أكثر اطلاعا فأنصفوا هذا التراث وأعطوه المنزلة التي يستحقها في صلب التراث الإنساني.

كما أننا لا يمكن أن نربط دائما صورة التصادم هذه بالمدرسة الإستشراقية فقط، بل هناك من هم من أبناء المدرسة العربية الإسلامية من يغوصون في التراث العربي الإسلامي بصورة من النقد المضعف وهم تحت تأثير إشعاع البناء الحضاري الغربي المادي.

بناء على كل ما سبق كان السؤال الملح في كل هذه الدراسات هو: هل يمكن أن نعتبر بأن التأسيس للنظرية التاريخية يعد إبداعا عربيا خالصا خاصة بعد ظهور الإسلام في بلاد العرب؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون تميزا لم يفضي إلى إبداع علمي؟

حينما نضع الآراء التي ناقشت مسألة أصالة منهج النظرية التاريخية عند علماء الإسلام، نجدها تتأرجح بين آراء متعددة، منها من وضع هذا التميز العربي في خانة الإبداع الخالص الذي لم يسبق إليه من قبل، ومنها من عده تميزا حقيقة لكنه لم يفضي إلى إبداع يصل إلى الدرجة العلمية الرائدة، ومنها من قلل من الحركية العلمية للعرب في هذا الباب واعتبر بأن أصل الإبداع النظري في هذا الباب يعود إلى المدرسة الأوربية. ومن هنا فإن مناقشتنا لهذا الموضوع تأتي ضمن محاولة للتأسيس لأصل البناء النظري والعملي لمنهج النظرية التاريخية عند علماء الإسلام، وذلك من خلال قراءة علمية مبنية على الشواهد المفضية إلى الإقناع بخصوص نشأة المنهج التاريخي، وهو ديدن منهج البحث العلمي في منطلقاته وغاياته.

وفي هذا نميز الآراء التي ذكرنا وفق الآتي:

- رأي يرى أصحابه بأن الإبداع العلمي في باب النظرية التاريخية قد تميّز فيه العرب أيما تميز، حتى أنه قيل : "لم يبدع العرب إبداعا خالصا مثلما أبدعوا في علم التاريخ " (داودي، 2020، ص 38)، والمقصود بالإبداع الخالص هو أنهم في التأسيس للمنهج التاريخي لم يستفيدوا من غيرهم إلاّ ما كان من تراكمات طيلة مرحلة الإسلام التي سبقت عصر ابن خلدون، وقد عدّ المنتج النظري لهذا الأخير من قبل أصحاب هذا الرأي، ثمرة للتتويج العلمي الخالص لمنهج النظرية التاريخية في الإسلام، وهنا تطرح بعض الإشكالات بهذه الخصوص وعند ذات أصحاب هذا الرأي، حيث نجد منهم من يجعلها إبداعا وتميزا خلدونيا خالصا دون الإشارة إلى التراكمات القبلية في تكوين العقل العربي وتشكيله للقواعد البنائية التي أوصلت الفكر التاريخي ليصل إلى مصاف العلمية، وهو ما يجعلنا نؤكد بان ابن خلدون ما هو إلاّ ثمرة لتتويج تلك التراكمات التي انطلقت مع

نزول الوحي واستمرت طيلة فترة ما قبل ابن خلدون وما ميّزها من مستجدات سواء في سياق الوضع العام أو التراكم المعرفي من قبل علماء الإسلام خلال هذه، وبالتالي فإن ابن خلدون لم يكن حالة فريدة أو مفاجئة في مسار الكتابة التاريخية العربية، أو نجما سطع في سماء الحضارة العربية، كما يرى بعض المستشرقين، ولكن كان تتويجا لتراكم طويل ميز الحضارة الإسلامية نظريا وعمليا (كوثراني، 2013، ص94).

- رأي يرى فيه أصحابه بأن المسلمين في منطلقاتهم الأولى ما بعد نزول الوحي لم يكونوا في حاجة أصلا لإيجاد منهج أو نظرية للتاريخ، وأن ما استعملوه واستعانوا به من آليات لمعرفة الصواب من الخطأ التاريخي مثل مسائل السند والمتن والجرح والتعديل وغيرها، كلها كانت في صياغ البعد الشرعي حينما كانت أساسا لعلم الحديث، ثم باتت فيما بعد آليات مهمة في التثبت التاريخي وقد طغى مثلما أوضح ابن خلدون الاهتمام على السند عوض النظر ابتداء في المتن كمنطلق نقدي عميق للتثبت من الخبر، وإن كان هذا لا يعني عدم وجود الحس النقدي البتة، باعتبار أن تلك الآليات التي ذكرناها كشرط في التثبت كانت بالأساس عمادا لمنهاج النقد عند أهل السنة في جميع أطواره، وإن اختلفت درجة الاحتكام إليها من طور لآخر من حيث التشدد أو التساهل.

وفي رد على أصحاب هذا الرأي يذهب طائفة وعلى رأسهم أسد رستم في كتابه (مصطلح التاريخ) إلى أن المسلمين هم أساس علم التأريخ ، وأن علم الحديث الذي ذكرنا وما كان له من آليات منهجية جعلت منه علما، هي ذاتها الآليات التي كانت منطلقا للوصول إلا مبدأ النظرية التاريخية التي برزت مع ابن خلدون، وفي ذلك يقول أسد رستم: " إن أول من نظم نقد الروايات التاريخية ووضع القواعد لذلك علماء الدين الإسلامي"، وهو يرى أيضا بأنه ليس بإمكان كبار المؤرخين في أوروبا والغرب أن يكتبوا أفضل مما كتب علماء المصطلح وإن مباحث مثل مباحث "تحري الرواية والمجيء باللفظ" تضاهي ما ورد في نفس الموضوع مما كتبه الغربيون في عصرنا الحديث. ويضيف أن التاريخ ليس مجرد نقل للرواية والأسانيد بل علم له أصول وقواعد كما علوم الفقه والهندسة والطب، وهذه الأصول تتلاقى في كثير من الأمور مع أصول علم الحديث المتمثلة في علم المصطلح. (رستم، 2015)

ومنه نخلص في مناقشتنا لآراء الإبداع العربي في تأسيس المنهج الذي تقوم عليه النظرية العلمية التاريخية، أن علماء الإسلام أبدعوا أيما إبداع في ذلك وأن ابن خلدون كان ثمرة

لذلك الإبداع الذي ينبغي أن نؤكد بأنه كان مسألة تراكمية طيلة المرحلة الإسلامية ما قبل عصر ابن خلدون، سواء من خلال مستجدات الوحي على العقل الإسلامي أو من خلال تطور الوضع وما حدث فيه من مكتسبات ساهمت في نماء المعرفة وبالتالي الإبداع العلمي.

يضاف إلى كل ذلك ثورة علم الحديث وما أكسبه للمسلمين من آليات شكلت الحجر الأساس لبناء النظرية العلمية التاريخية فيما بعد، وكذلك من تراكم التعامل الإبداعي مع الحوادث التاريخية والمعارف المتداولة من قبل علماء الإسلام الذين سبقوا ابن خلدون والذين كانوا يلجئون في سبيل التحري والتحقق، إلى مناهج أخرى غير التي اعتادوها في علم الحديث كنقد السند مثلا.

ومن ذلك ما يرويه هارون القروي أنه رأى الواقدي بمكة ومعه ركوة فقال أين تريد؟ فقال أريد أن أمضى إلى حُنين حتى أرى الموضع والموقعة، فهو لم يكتف هنا بالأخبار بل أراد أن يقوم بدراسات ميدانية ليتأكد من صحتها من عدمها، وكذلك المسعودي في مقدمة تاريخه يذكر مثل سابقه كيف أنه قطع الفيافي والجبال ليرى البلاد ناقدا من قنع بما نمى له من الأخبار وقعد في بلده.

ومن قرأ مقدمة ابن خلدون وقرأ مقدمة مسكويه في تاريخه الموسوم بتجارب الأمم على وجازتها أدرك ما بينهما من الشبه، وكذلك اليعقوبي لا يختلف عن ذلك، إذ نجده في تاريخه يذكر بعض أساطير الفرس ثم يقول إن لهم أخبار تركناها لأن مذهبنا ترك كل مستبشع، والمسعودي أيضا مثل صاحبه، بل هو لا يكتفي بنقد تلك الأخبار بل قد يذكرها ويعللها وفق ما يرى من علوم فيعلل ما يذكره العرب من الغول والعنقاء بأنه نتاج التوحد في القفار والإنسان إذا تفكر وإذا تفكر جبن فتدخله الظنون والأوهام ويتراءى له ما ليس بحقيقة. (المركبي، 2016)

بعد مناقشة هذه الرؤى المتعلقة بحقيقة أصالة وتميز علماء الإسلام في تأسيس منهج النظرية العلمية التاريخية سنحاول التعمق في صلب موضوعنا في تلك القواعد البنائية التي أسست لمنهج النظرية العلمية التاريخية عند علماء الإسلام، ولكن من أجل معرفة المتغيرات التي حدثت مع نزول رسالة الإسلام الخاتمة، لا بدّ أن نقف على واقع التفكير التاريخي العربي قبل ظهور الإسلام.

2. و اقع التفكير العربي قبل ظهور الإسلام و انعكاسه على بنية التفكير التاريخي

جبل الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض وتدرّجه زمنيا فيها على الولوع والاستئناس بما حصل له في الماضي أو بسيرة الأقوام الذين سبقوه، وبذلك فإن المتأمل في سنن الله لبني البشر يجد بأن التاريخ جزء جوهري من تلك السنن، لا يمكن للإنسان أبدا أن يشق مسار الحياة دون أن يكون ذلك التاريخ جزء من قواعد الانطلاق في ذلك المسار، لذلك لا نجد شعب من الشعوب تغاضى عن التاريخ من حيث التناول والتداول، ومن تلك الشعوب التي كان التاريخ جزء من منظومتها الحياتية العرب الذين اهتمّوا به وتدارسوه وألّفوا فيه ؛ بل وكانت بلادهم مهدا للكتابة الإنسانية انطلاقا من وادي الرَّافدين، ووادي النِّيل، والعربيَّة الجنوبيَّة (بلاد اليمن)، وتدمر، والأنباط، والمناذرة، ولاحقا في نجد والحجاز.

ولكن قبيل نزول وحي السماء على سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام كان العرب يعيشون عصرا جاهليا بالنظر لصفات السفه والطيش والعصبية والوأد وغيرها من الصفات، لكن هذا لم يمنع من وجود معالم تحضر ومكارم أخلاق ميّزت العرب، ومن ذلك الجانب العلمي الذي رغم بساطته عندهم، نجد خاصة المنهج التجريبي الذي تجسّد في علم القيافة والنجوم، والشعر وما كان يعقبه من مسابقات وكتابة ونشر وإعلام فيما يعرف بالمعلقات مثلا.

ولكن رغم كل هذا الزخم لم يندفع العرب بعيدا في تطوير هذه المكتسبات والمنتجات بما في ذلك تطوير الكتابة وتنويعها بحكم عدم الدراية لمقتضيات ما يمتلكونه من تلك المواهب والخامات المهمة، ولعدم امتلاكهم لتصور بنيوي يفضي إلى تطور شامل في حياتهم. وكان لطبيعة حياتهم في هذه المرحلة وتحكمها في مفاصل شؤونهم، بالغ الأثر لبقائهم يراوحون مكانهم دون تقدم في أنماط عيشهم الذي اعتادوا عليه في هذه المرحلة والذي أبعدهم كثيرا عن نمط عيش الحواضر خلال هذه المرحلة التي سبقت نزول الوحي عليهم، والقائمة على عدم الاستقرار وبالتالي عدم تهيئة مجتمع متحضر يهتم بالكتابة وتطوير المعارف.

كما نجد أن الثقافة التاريخية في مجملها كانت ترتبط عندهم بشكل أكبر بالتداول الشفهي القائم على قوة الذاكرة، والتي كانت الأساس الأكبر والمصدر الأبرز في التباهي

العربي خاصة في مجال تداول الحوادث التاريخية التي كانت جزء محوريا في مسار العيش عندهم في الجزيرة العربية، حتى عدّ أصل العلوم عندهم (سالم، 1981، صفحة 3)، وقد كان هذا النمط المشكل للفكر التاريخي عندهم قبل الإسلام يسير في مسارين أساسين هما: أيام العرب" و"الأنساب"، فضلاً عن القصص التاريخي أو شبه التاريخي الذي تناقلوه أبا عن جد أو من خلال مجالس السمر، حيث كانت كل قبيلة تحفظ أنسابها وتتفاخر بها حتى لا تختلط بأنساب غيرها، مما اختصر التاريخ في الأنساب، وقد أشار إلى ذلك كل من النويري في (نهاية الأرب في فنون العرب)، والقلقشندي في (صبح الأعشى)، أما الأيام فكانت أبرز أنماط المعرفة التاريخية عند العرب قبل رسالة الإسلام ، وكانت تشكل الوعاء الذي تَحفظ فيه القبيلة ذكرياتِها، وفيه كانت تحفظ القبيلة أيام حروبها ومعاركها، بهدف الإمتاع بمآثر أسلافهم دون البحث عن الحقيقة التاريخيَّة وفق مناهج الإقناع التي طوروها فيما بعد ظهور الإسلام.

ورغم ارتكاز العرب على هذا التراث الشفوي بشكل كبير، إلاّ أن ذلك لا يمنع من وجود نمط للكتابة التاريخية، يقوم في مجمله على ما يعرف بالنقوش التاريخية، التي دوّن فيها الملوك حروبهم وأعمالهم، وقد أشار إلى ذلك الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب)، ونشوان الحميري في معجمه اللغوي، حينما أظهرا تلك النصوص التاريخية في بعض موادها المتعلقة بأسماء الآلهة وأنواع القرابين وأسماء القبائل والأفراد، وبعض المعلومات عن القوانين التي حكمت الناس آن ذاك (بتار، 2006، ص 2).

ومنه نخلص إلى ما ذهب إليه عبد العزيز الدوري حينما اعتبر بأن الفترة الجاهلية لم تترك أدبا مكتوبا، فهي فترة ثقافية شفوية، مع أن تراثها على العموم أدى إلى استمرار الاهتمام بالأيام والأنساب وإلى بقاء الأسلوب القصصي شبه التاريخي (الدوري، 1960، ص18)، باعتبار أن التفكير التاريخي العربي قبل الإسلام لم يكن مؤسسا وفق مناهج مقنعة وأهداف واضحة بل كان في جلّه مرتبطا بالأسطورة والخرافة والتباهي، ولم يكن يحمل قيمة اجتماعية لها دورها في التشكل المعرفي والبناء المجتمعي، لكن شاءت قدرة الله بعد مدّة زمنية أن يتفرّد العرب على سائر الشعوب في الإبداع التاريخي من حيث التنظيم والاهتمام والأسس والقواعد المنهجية، بل وصلوا فيه إلى درجة العلمية، وهو ما يطرح

سؤلا جوهريا: ما المستجد عند العرب حتى ينتقلوا بالفكر التاريخي من الخيال والأسطورة إلى المنهج والعلمية؟

3. قراءة في بناء الإسلام للعقل التاريخي العربي وفي التأسيس للنظرية العلمية التاريخية

يعدُّ ظهور الإسلام أكبر منعطفَات العرب عبر تاريخهم، بالنظر لما شكّله لهم من نقلة نوعية في شتى المجالات وبه انتقلوا من الانزواء ورعاية الغنم والإبل، إلى الاندفاع وتحمّل رسالة الأمم، للتغير بموجب ذلك، مسارات حياتِهم وأسُس تفكيرِهم، وتستبدل عقائدَهم المنحرفة والضَّالَّة بعقيدةٍ واضحة ذات قوام متين، تكوّنت بناء عليها الأسس البنائية الفكرية الجديدة التي شكّلت القاعدة الأبرز لتوحُّدهم بعد حياة التبعثُر والشَّتات التي كانوا يعيشونَها في ظلِّ القبليَّة، وما فرضته طبيعتها عليْهم من مخاصمات وحروب ودماء.

فالوحي القرآني حرر ذلك الفكر العربي المغلق من مشدّات العصبية الضيقة والانزواء إلى سعة الكون وترابط الإنسان بعضه ببعض مهما بعدت المسافات، لأن المنشأ واحد والمآل واحد، والغاية واحدة، وهو ما مسّ ما نحن في صدد الكلام عليه فيما يتعلق بالفكر التاريخي، الذي انعكست عليه تحررا تلك الهزّات التي أحدثها النص القرآني في ذلك الفكر، وبناء عليه فإن تأسيس الوعي التاريخي في ظل الإسلام قد ارتبط بمستويين رئيسيين:

- المستوى الفكري المرتبط بالعقيدة الإسلامية ذاتها أو ما يمكن أن نطلق عليه البناء النظري الإسلامي للعقل التاريخي العربي.
- المستوى الواقعي على صعيد المستجدات والمتمثل في الظروف الجديدة التي فرضت نفسها في عصر ما بعد نزول وحي السماء.

1.3 البناء النظري الإسلامي للعقل التاريخي العربي

البناء الإسلامي للعقل التاريخي عند العرب تشكّل بناء على إشارات الوحي القرآني، التي طرحت مفهوما جديدا للتاريخ البشري يقوم في الأساس على قاعدتين مهمّتين : **الأولى فيهما** أن الحياة مبنية على غاية يريدها الله للخلق، ومن ثمّ فإن الكائنات جميعها تتحرك صوب تلك الغاية، ونجد ذلك في مواطن متعددة من كتاب الله الخالق ومن نماذج ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة الذاريات 56، وقوله جلّ شأنه: ﴿هُوَ

أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ سورة هود، 61، وهي آية تدعوا لتحقيق العبودية لله الخالق، وأن تلك العبودية لا تربط بطقوس تؤدى وفقط بل ارتباطها الأوثق بالسلوكات الظاهرة بين المجتمع والتي تأخذ في حسبانها الترابط الوثيق بين الإنسان وما يحيط به من كون مرئي وغير مرئي، لذلك نجد النص القرآني يركز على مصطلح الإعمار في الأرض والذي نراه أشمل من مصطلح الحضارة التي يكابد الإنسان من أجل إقامتها، لاعتبار أن الحضارة كمصطلح مرتبطة بالحضر أي الحواضر من حيث البعد المكاني، بينما الإعمار يتعدى الحواضر إلى كل مكان يستطيع أن يبلغه الإنسان فيما أريد له في هذه الحياة، ويتنوع في عمقه ليشمل كافة مناحي الحياة، وقد فسّر بن كثير الدمشقي آية الإعمار تلك بقوله: «استعمركم فيها» أي جعلكم عُماراً تعمرونها وتستغلونها (كثير، 2002، ص 406).

والإنسان لن يستطيع أن يحقق مسألة الإعمار تلك إذا لم يرتقي بنفسه إلى المصاف القادر على تحقيق ذلك، والذي لن يتأتى له، مالم ينهض في تنمية ذاته ومن ثم مجتمعه، وبالتالي يهيئ البيئة الملائمة لتحقيق الإعمار الحق الذي أراده الله حينما خلق هذا الإنسان وما ارتبط به من حياة، خصوصا وأن الله لم ولن يدع الإنسان لوحده، في مسألة تحقيق ذلك الإعمار، باعتبار أنه أمدّه بكل الآليات التي بإمكانها أن تهوّن عليه سبل تحقيق ذلك، مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ سورة لقمان الآية 20، وقوله أيضا: ﴿هوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾سورة الملك، الآية 15.

أما الثانية فقد حذّر فيها القرآن من الجمود وانتظار المتغير، مكرّسا ذلك مبدأ قوامه أن الإنسان هو الفاعل التاريخي وهو الجوهر المتحرك في هذه الحياة، والوحيد الذي أنيطت له مهمّة إعمار هذه الأرض، وأن ذلك لن يتأتّى دون تحرّك وتخطيط وحسن تدبير، لأن ذلك هو الأرضية التي يتحقق من خلالها مشروع الإعمار الذي أراده الله.

ويزيد الوحي القرآني في تحرير ذلك العقل العربي ومن ورائه العقل الإنساني برمته بدعوته إلى ضرورة التعرف على ذات الإنسان واستقراء ماضيه والتحكم في بيئته كمكان لتحقيق غاية، لأن ذلك هو الكفيل بفهم مبدأي الغاية والفاعلية اللتان أشرنا إليهما، ولا أدلّ على

ذلك من قوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾، وقوله : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾سورة إبراهيم الآية: 6-7.

وقد كرّست هذه الآية الأخيرة بأن رسالة الله واحدة منذ أن خلق سيدنا آدم عليه السلام، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والتي جعل لها شعارا تكرر كثيرا في القرآن، وهو إخراج الناس من :﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ وهي آية ابتدأت بغاية ينبغي أن تحقق في هذه الحياة هي ثمرة إعمار هذه الأرض سيمتها النور بعد الظلام في كل مجالات الحياة الجامعة بين الفكر والواقع العملي المعاش، واستوت الآية بما يربط تلك الغاية بآليات إحداث الإعمار في الأرض من خلال الوقوف على أيّام الله بكل ما تحمله هذه الأيام من صور، وبما تمثله من ركيزة أساسية لأي بناء نهضوي، ينبغي إعادة الفهم لها من مختلف المناحي، وتنتهي الآية بصورة الإنسان الحق الذي اكتسى وتشرب مقومات الإعمار في هذه الأرض.

والملفت هنا في هذه الآية، أن الله ربط بوثاق لا يستقيم معه الفصل، بين إحداث رسالة الإعمار تلك، وتحقيقها لغاياتها المرجوة والمعبر عنها في الوصف القرآني بالنور بعد الظلام، وبين الزمن كمرتكز أساسي، لا يحصل ذلك التحقيق إلاّ من خلاله، حينما قال: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ سورة براهيم، الآية:6، وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾سورة آل عمران، الآية:137.

وقوله أيضا: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ سورة الحج، الآية:46، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ سورة الروم، الآية:9.

ومن هنا ندرك سرّ دعوة القرآن الكريم المؤمنين إلى التأمل فيما مضى من أيام الله، لأجل صناعة رجال يمشون في التاريخ ويعيشون فيه، لبناء أهدافهم الكبرى (نبي، 1986، ص 52-75)، فالوقوف على الزمن إذن، بكل أبعاده الثلاث، ما فات وما حضر وما هو آت، لهو الكفيل بتشكيل الروح الزكية المنتجة والعقل الناضج المبدع والإرادة القوية المصرّة على تحقيق

الأهداف وتحمّل المصاعب وعقبات الطريق في سبيل الوصول إلى غاية الله المرجوة لعباده في هذه الأرض.

فالزمن إذن، في شق العبرة، يدعوا إلى الاستفادة من تجارب الناس والأمم، حتى لا تتكرر الأخطاء والمزالق، ومعاودة البناء التاريخي من الأساس الأول كل مرة فاقدين بذلك الجهد والوقت اللذان لا تتحمل الحياة فقدهما، وفي شق أخذ الحيطة، مما هو آت من أيام الله، بالمراقبة والمحاسبة والعمل، وقد جاء وصف بن خلدون للشق الأول بقوله : "إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا" (ابن خلدون، 2007، ص 21)، وفي الشق الثاني جاء قول الله تعالى : قال تعالى: ﴿اتّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمّ تُوَفّىَ كُلّ نَفْسٍ مّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية:281، وقوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ سورة الانفطار، الآية: 17-19.

بناء على هذه المبادئ تشكّل للإنسان العربي قوام جديد وعميق في الفهم التاريخي تقوم على الغاية والفاعلية للإنسان في هذه الأرض واللتان لا يمكن تحقيقهما إلاّ من خلال آليتي الزمان والمكان بكل الأبعاد المتاحة لهما، واللاّفت أن الإسلام حرر العقل العربي بعيد من حيث الزمان وربطه ابتداء ببدء الخليقة وانتهاء بنهايتها وهنا يبرز التصور الإسلامي التاريخي للكون منذ بدء الخليقة وحتى يوم القيامة مع الدعوة الى امتحان الانتباه عند الانسان في كل مرّة بما يربط بالعقيدة من هزّات الانتباه: أفلا تتفكرون؟ أفلا يعقلون؟ إن في ذلك لآيات لذوي الألباب؟ .... وهلمّ جر.

لنخلص إلى أن الإسلام في نقله النوعي للفكر العربي في فهمه التاريخي قد ربط رباطا وثيقا بين العقيدة والتاريخ وهو مستجد إنساني تعدا الفكر العربي إلى الإنسانية عبر مراحلها التي سبقت، وهو نقلة نوعية للوعي التاريخي من حيث القيمة والغاية بعيدا عن الخيال والأسطورة والخرافة التي كانت سائدة فيه عند كل الشعوب، كما كرّس الإسلام من خلال البيئة ذلك التفاعل العميق المصيري بين الإنسان والبيئة باعتبارها وسيلة لمعرفة الله ومدى قدرته، وامتحان لتلك الفاعلية للإنسان في هذه الحياة.

كل ذلك أحدث ثورة حقيقية في التصور التاريخي عند العرب وحفزهم على التساؤل عن تلك الأمم ومواطنِها، وأزمانِها وصلتها ببعضِها أو بالعرب؛ كعاد وثمود، وأصحاب شعيب... إلخ، وبالتالي كان القرآن المحفِّز الأكبر لدراسة التَّاريخ العربي القديم، إلى جانب التَّاريخ العامّ، في حين كان الحديث النبويُّ الشَّريف المحفِّز للاهتِمام بِجمع وتدوين التَّاريخ الإسلامي.

والمتعمق في البناء الفكري الإسلامي للإنسان قد أوحى إلى بناء عقله التاريخي من خلال مضامين بنائه للسلوك والخلق عند الفرد والمجتمع، فالله عزّ وجل حينما يدعوا المجتمع إلى صفاء التعامل من خلال التبيّن والتأكّد قبل إطلاق المواقف على الناس حينما يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾سورة الحجرات، الآية:6، وكذلك النبي عليه الصلاة والسلام يؤكد في أكثر من موضع على هذه القيم القواعد، ومن نماذج ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث "، وقوله أيضا:" كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما يسمع"رواه مسلم.

من هذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة تشكّلت منطلقات قواعد منهجية تاريخية عميقة عند العرب، دفعتهم إلى ثورة كبرى في البناء التاريخي كان قوامها التمحيص والتدقيق في الخبر التاريخي قبل اعتماده، وهو الأساس الذي بني عليه ما يعرف بالمنهج التاريخي والذي كان إبداعا عربيا خالصا لم يستفد العرب في إنشائه من أحد أو شعب من الشعوب مثلما كان لهم في علم النحو، وقد قيل:(لم يبدع العرب إبداعا عربيا خالصا مثلما أبدعوا في علمي النحو والتاريخ).

2.3 الظروف المساعدة في نشأة التاريخ وتدوينه عند العرب بعد نزول الوحي

بالإضافة إلى البناء الفكري النظري الإسلامي الذي شكّل القواعد القويمة المؤسسة للمنهج التاريخي عند العرب ومن ثم الإنساني، فإن هناك عوامل وظروف مما هو أصيل عند العرب ومنها ما هو مستجد دفع بالفكر والكتابة التاريخية إلى مدارج لم تصلها الكتابة التاريخية من قبل ومن أبرز تلك العوامل.

1.2.3 التقويم الهجري عند العرب

والذي يعدّ نقطة الارتكاز للروايات والأبحاث التاريخية حتى تقيد وفق تسلسل زمني ولا تختلط بعضها ببعض، وقد نشأ عند العرب انطلاقا من عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في الرواية التي تقول (آلبان، 1996، ص 9) بأن سبب وضع التاريخ الهجري هو أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر رضي الله تعالى عنه يقول: (إنا قد قرأنا صكا من الكتب التي تأتينا من قبل أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه، وكان محله شعبان، فما ندري أي الشعبانين هو: الماضي أو الآتي؟ فجمع أعيان الصحابة واستشارهم فيما تضبط فيه الأوقات، وكان فيهم ملك أهواز اسمه الهرمزان، وكان قد أسلم على يديه حين أسر، فقال له: (إن لنا حسابا نسميه (ما روز) أي حساب الشهور والأعوام، وشرح كيفية استعماله، فأمر عمر بوضع التأريخ، فاستمر رأيهم على تعيين يوم من أيامه عليه الصلاة والسلام لذلك، فجعل مبدأ الهجرة من مكة إلى المدينة إذ بها ظهرت دولة الإسلام.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:" ذكر الله التاريخ في كتابه لأن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان على حاله الأول، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ، قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ سورة البقرة، الآية:189، وهي جمع هلال ،(قل هي مواقيت للناس) أي في دينهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم ومدد حواملهم ومحل ديونهم وأجور أجرائهم، وغير ذلك من الشروط إلى أن انتهى إلى أجل معلوم (السخاوي، 1986،ص 18-35).

2.2.3 علم الأنساب

والذي شكّل قاعدة مهمّة في الكتابة عند العرب، وقد اهتموا به اهتمامهم بحياتهم لأنه جزء من عصبتهم القبلية ؛ ومصدر الثقة والإلهام لهم في شؤون حياتهم فهو الذي يغذي الشعراء في ميادين الفخر والهجاء وهو الذي من خلال الأيام يحفظ أخبار العرب ومعاركهم (شاكر، 1979، ص65)، ولما جاء الإسلام عمّق الاهتمام بالنسب وربطه بالعقيدة من خلال الدعوة إلى ذوي القربى وصلة الرحم والإحسان إليهم، من خلال قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ سورة البقرة، الآية 215.

وفي قوله تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ سورة البقرة، الآية 177، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ سورة الشعراء، الآية 214، وقد خاطب القرآن الكريم الناس بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّا للهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة الحجرات، الآية 138، كما برزت الدعوة إلى النسب من قبل النبي عليه الصلاة والسلام من خلال أحاديثه الشريفة، كقوله عليه الصلاة والسلام: "تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإنّ صلة الرحم محبّة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأجل، مرضاة للرب".

فالإسلام إذن شدّد على التعرف على النسب حسب أحكام الشريعة فرضا وواجبا لكي يتعرف فيه الإنسان على محارمه في النكاح، وأن يتعرف على كل ما يتصل به من رحم يوجب ميراثًا أو يلزمه صلة أو نفقه عليه (حزم، 1977، ص1،2-15)، وعزّز ذلك كله اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب بتدوين أسماء المحاربين وأهليهم حسب قبائلهم أعطى للأنساب أهمية جديدة، وكان حافزًا إضافيًّا للاهتمام بهذا الجانب الاجتماعي والتي تعدّ البدايات الأولى في العصر الإسلامي وتشجيعًا كبيرًا لعملية التدوين التاريخي.

حيث أصبح لكتب الأنساب قيمة في كتابة التاريخ العربي، وأنّ هذه الأهمية تتمحور من خلال تثبيت استمرار النوع البشري من خلال تأكيد سلسلة الانتماء ما بين الابن إلى الأب والأب إلى الجد وهكذا؛ فهي إذن دلالة بشرية تبحث في كيفية تكاثر البشر من خلال الزواج وأشكاله ونظام القرابة الذي يؤسسه نظام الزواج، ودلالة زمانية قوامها الوعي باستمرار الزمن وتقسيمه على أساس الأجيال، ومن خلال هذه المصاهرة ينتج عرضيا متحقق معرفي جوهره تطور أشكال التنظيم الاجتماعي انطلاقًا من العائلة وشكل الاتساع القرابي ومستوياته (الشعب، القبيلة، البطن، الفخذ) (شاكر، 1979، ص 66)، وانبى على كل ذلك عملية التدوين في الأنساب، ليصبح فرعًا أساسيًّا من فروع التاريخ حتى ظهرت تواريخ خاصة على أساسه (النديم، (د.ت)، ص30؛ الحديثي، (د.ت)، ص 86)، كالنسب الكبير لهشام الكلبي (ت204هـ) و(نسب قريش) لمصعب الزبيري (ت236هـ).

وكان من الطبيعي أن يكون النسابون الأوائل هم في الوقت نفسه من الإخباريين الأولين كمحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام وهيثم بن عدي (البلاذري، (د.ت)، ص548-549)، وحين انصرف النسابون إلى جمع المادة وتسجيلها جمعوا معها ومن حولها الكثير من المادة

التاريخية التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابها. ولعل أول خط تاريخي كتب في صدر الإسلام إنما كان في علم النسب، وكان على يد أولئك، فعهد إليهم بوضع سجلات الأنساب التي أنشأها الذين أتى بهم الخليفة عمر بن الخطاب وهم، وقد قدّم ذلك خدمة جليلة لتطور الكتابة التاريخية عند علماء الإسلام سواء في المادة أو في خطة الكتابة (الدوري، 2005، ص 40).

3.2.3 الشعر والأدب

باعتبارهما من روافد التاريخ الأبرز عند العرب فالشعر مثلا عدّ ديوان العرب الأبرز، وسجلها الموثوق الذي حفظ أدبهم وتاريخهم وأنسابهم، وهو الذي جعلهم يعرفون القصة التاريخية ويتناقلونها مبكراً، جاعلا بذلك المادة التاريخية جزء من حياة العرب، فيما أطلق عليه بالتاريخ المنقول بالمشافهة سواء كان ذلك شعراً خالصاً أم نثراً تتخلله الأشعار، والشعر في كلتا الحالتين هو الذي حافظ على تناقل الخبر وانتشاره، كما كان الشعر يمثل السياق القبلي لتدوين التاريخ.

واستمرت العلاقة بين الشعر والخبر التاريخي خلال التدوين التاريخي العربي الإسلامي، فهما توأمان في البناء الهيكلي للخبر التاريخي وعرضه، وظهرت بعض سمات الحس التاريخي من خلال الروايات التي دونت في العصر الإسلامي، ولهذا عد الشعر في نظر كثير من الباحثين رافدا مهما لا يمكن الاستغناء في الروايات التاريخية، وأبرز الخليفة عمر بن الخطاب مدى أهميته بقوله : (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه)، ومقولة ابن عباس: إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر، فانه ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسول الله (ص)، وحديث صحابته التابعين (الناجي، 2008، ص342).

4.2.3 العوامل المستجدة وظهور علمي التفسير والحديث

وكل ذلك دفع بالاهتمام التاريخي عند العرب مراتب مهمة، ومن أبرزها الاهتمام اللافت للخلفاء وذوي السلطان والعلماء بالتاريخ بأشكاله المختلفة وبقصد مباشر أو غير مباشر، كالاهتمام بتفسير القرآن والتعمق فيه والذي عدّ في جوانب كثيرة منه ضربا من ضروب البحث التاريخي، وكذلك علم الحديث في مضامينه ومنهجه، باعتبار أن الذين

تعمقوا في دراستهما تعترضهم عقبات كئود من أبرزها النقص الحاد في كثير من المعارف والمعلومات التي لم يتعمق القرآن ولا الحديث في تفصيلها، مما يضطر متناوليها إلى البحث على ملأ ذلك من مصادر أخرى لإيضاح الصورة، كما فعل كعب الأحبار ووهب بن منبه من خلال عودتهما للتراث العبراني والمسيحي وهو ما أوقعهما في موارد كثيرة، وأن الاهتمام بالسيرة النبوية أثّر في ظهور أنماط مهمة للكتابة التاريخية كالسير والمغازي مثلما جاء عند عروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد (ت123هـ/740م) وعبد الله بن أبي بكر ابن حزم (ت130هـ/ 747م)، ومحمد بن شهاب الزهري (ت124هـ/ 741م)، وموسى بن عقبة (ت141هـ/758م) الذي قال عنه الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه : (لا يوجد في المدينة أعلم منه في المغازي)، وبعده برز محمد ابن إسحاق (ت151هـ/ 761م) كأقدم سيرة تصل إلينا شبه كاملة عن طريق ابن هشام الذي برز أيضا في هذا المجال وغيرهم كثّر.

إضافة إلى كل هذا كان للخلفاء وذوي السلطان عموما دورا كبيرا في الدفع بالاهتمام التاريخي مراحل متقدمة، فمعاوية بن أبي سفيان مثلا كان يتسامر في مجمل لياليه في التاريخ من خلال تقريبه في هذا المجال لعبيد بن شريه الجرهمي، الذي كتب له كتابا عنوانه:(الملوك وأخبار الماضين)، وكذلك طلب أبو جعفر المنصور(ت158هـ) من محمد بن إسحاق الكتابة في السيرة، وكذلك ما كان بين والي اليمن (خالد بن عبد الله القشري) ومحمد ابن شهاب الزهري، يضاف إلى كل ذلك العامل المادي كدافع بارز في تطور الكتابة التاريخية عند العرب، ومن أبرز معالمه ظهور الورق في بغداد سنة (178هـ).

وإن شئنا أن نضع قاعدة ارتكاز في ظهور المنهج التاريخي فإن منهج أخذ وتدوين الحديث كان قاعدته الأبرز، باعتبار أن علماء الإسلام قد جعلوا لجمع الحديث منهجا يقوم على أساسين مهمين هم السند والمتن، حيث اعتبر السند معتمد الحديث لأنه يشتد إليه ويعتمد عليه (الطحان، د.ت، صفحة 157)، من خلال سلسلة الرواة الذين نقلوا الخبر أو المتن واحدا بعد واحد إلى أن يصلوا بالرواية إلى مصدرها الأصلي (حمادة، (د.ت)، صفحة 231)، وقد كان سبب ضرورة الأخذ بالسند والسؤال عنه ما مرّ بأمة الإسلام أيام الفتنة الكبرى ومقتل خليفتي النبي عليه الصلاة والسلام عثمان وعلي رضي الله عنهما أجمعين، حينما فشا الكذب وظهر الوضع في الحديث، وقد قال في ذلك ابن سيرين: (لم يكونوا يسألون

عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا : سمّوا لنا رجالكم، فلينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم)، وكذلك قول ابن عباس رضي الله عنه : (إنّا كنا نحدّث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه) رواه مسلم بمعنى لا يقبل إلاّ ما يعرف ومن رحم السند ظهر علم الرجال أو ما يعرف بعلم الجرح والتعديل الذي كان له الوقع الأكبر في التحري وتمحيص ما ينقل من حديث أو أخبار عند علماء الإسلام.

أما المتن فهو ما انتهى إليه السند من الكلام بمعنى نصّ الخبر واعتبر علماء الإسلام أن العلة التي تكون في السند قد تكون في المتن، ومن هنا فإن منهج الحديث قد انعكس بصور أخرى على نشأة المنهج التاريخي وتطور الكتابة التاريخية فيما بعد.

4. نتائج البناء الإسلامي للنظرية العلمية في التاريخ من خلال النموذج الخلدوني

المتأمل في الكتابة التاريخية عند المسلمين منذ نزول الوحي وإلى غاية عصر ابن خلدون يجدها تعيش انعكاسا لمسيرة تطور الحضارة العربية الإسلامية، حيث عاشت الكتابة التاريخية عصر النشأة والتعاظم حينما بلغت مدارج عالية في عصر الإمام الطبري والمسعودي لم تبلغها من قبل، لتبدأ بعدهما بالتقهقر شيئا فشيئا مع تقهقر الحضارة الإسلامية حتى أصبح في عصر ابن خلدون (القرن 8هـ) عقيما خاليا من كل فائدة.

لكن العجيب أنه في ظل هذه الأجواء العاتمة التي توحي بأن لا حياة في الكتابة التاريخية من حيث الروح والمنهج المعتمد فيها، بزغ فجر الكتابة التاريخية وبزغت معها أسس الكتابة وقواعد المنهج التي ينبغي أن تكون ديدن أي كتابة تاريخية، سواء في القراءة أو التحري والاستنباط أو الكتابة والتأليف فيه، وهو ما جعل لحظة ابن خلدون لحظة فارقة في تاريخ الكتابة التاريخية ليس عند العرب وحدهم فقط بل للإنسانية جمعها، لأنها كانت لحظة خلاقة لفجر كثير من العلوم، شكّلت ابداعا نادرا في هذا المجال ومجالات أخرى لاحقة، ولكن الذي ينبغي تأكيده هو أنه ما كان لابن خلدون أن يصل لكل هذه المنجزات العظمى لولا تلك القواعد البنائية التي تأسس من خلال منهج تلك النظرية التاريخية، لأن ابن خلدون انطلق في نظرته للتاريخ بأنه ليس مجرد رواية للأخبار بقصد التسلية أو الإثارة أو إحداث الدهشة عند السامعين بل هو في عمقه: (نظر وتحقيق،

وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق) (ابن خلدون، 2007، ص9).

فابن خلدون قبل توصّله إلى القواعد التي يمكن أن نؤسس من خلالها للرواية التاريخية وتدوينها، قد انطلق من تأمل عميق في الكتابات التاريخية التي سبقته وكان مفتاحه في ذلك العقل السليم، فوصل أن هناك عوائق كثيرة حالت دون اكتساب الكتابة التاريخية فيمن قبله أصالة ونضجا وإقناعا، ومردها كلها إلى (طالبي، 1981، ص 23 وما بعدها):

- الانحياز أو التعصب إلى قبيلة أو إلى مذهب معين أو غير ذلك قد حتّم الالتزام به، وهو ما شكّل مع الوقت نوعا من العصبية له جعلته محورا في الفهم، وبالتالي محورا في قياس الخبر من حيث القبول أو الرفض، وفي هذه الحالة أصبح ذلك المذهب أو المعتقد هو الغربال الذي تصفّى به الكتابة أو نقل الأخبار، وهو الأمر الذي كساها الضعف والتناقض في كثير من جوانبها.
- الانقطاع إلى الحاكم أو لذوي السلطان عموما من قبيل الزلفى لهم وهو ما جعل الروايات التاريخية وبالتالي الكتابة حولها تحوّر بما يخدم ذلك الانقطاع والزلفى وهو ما جعل الرواية تبدو ضعيفة مهترئة تغيب فيها الحجة والإقناع.
- الاكتفاء بالاعتماد على مجرد ما يروى بدون سابق تمحيص يقيني يقود إلى الوقوع في الغلط أو الانزلاق في الوهم.
- المبالغات والولوع بالغرائب كذكر الأعداد والقصص الغريبة وهو طبع إنساني شكّل سهولة التجاوز على اللسان ومنها التبرير لبعض الأعمال وكل ذلك عند ذوي الألباب يظهر الضعف من أول لحظة.
- عدم مراعاة قوانين الطبيعة كنقل الأخبار المستحيلة الوقوع، وكذا الجهل بطبائع العمران (أي الظواهر الاجتماعية) وكيفية حدوثها، باعتبار أن للعمران البشري عوارض مثل الطبيعة، ومن عوارضها سنة التطور.

وبعد وقوف ابن خلدون على كل هذه المعوّقات في طريق الإقناع التاريخي، ناقش مسألة غاية في الأهمية كان لها الدفع الأكبر في إبداعاته المنهجية في التاريخ، والتي أكّد فيها رغم أهمية قاعدة السند المعتمدة في الحديث للتبين والاقناع في مسائل الخبر، إلاّ ذلك ينبغي له من ضبط بالنسبة للمسائل التاريخية، باعتبار أن منهجية الحديث القائمة على نقد

السند عن طريق الجرح والتعديل غير مجدية بمفردها في حصر الحقيقة، لأنه لا فائدة للسند إذا كان الخبر المنقول خرافة، وفي مثل هذه الأمور وقع المؤرخون كالطبري والمسعودي وغيرهما ممن لا يختلف إثنان في عدالتهما مثلما أشار ابن خلدون، واعتبر بأن المرحلة الأولى يجب التأكد ابتداء من إمكانية وقوع الحدث المروي في حدّ ذاته، وبالوسائل الأنفع والأجدى، ثم يمكن أن نتجه بعد ذلك لمسألة نقد السند كشرط ضروري، وقد ضمّن كل ذلك في قوله:(ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع، وأما إذا كان مستحيلا فلا فائدة للنظر في التعديل والجرح) (ابن خلدون، 2007، ص 4).

بناء على كل هذه المغالط والمعوقات التي وقعت فيها الكتابة التاريخية رأى ابن خلدون بأنه لا ينبغي بأي حال من الأحوال ردّ الصيرورة التاريخية إلى الصدفة والتلقائية بل هي تجري وفق قوانين وسنن يمكن اكتشافها واستنتاجها إذا أحسنّا التأمل في الحوادث التاريخية، وهو ذات الأمر الذي عاشه ابن خلدون من كل أعماقه، فخرج للإنسانية جمعاء برؤى أسست لعلم التاريخ ومهّدت بعده لعلوم أخرى نحسبها قد خرجت من رحم الفكر التاريخي، من خلال تلك السنن التي رأى ابن خلدون بأنها تتحكم في مفاصل البناء التاريخي، وهي عنده أربعة قوانين:

- **قاعدة السببية:** وهي تعني ارتباط العلة بالمعلول، لأنه ما من حادث إلاّ وله سبب، فيما يطلق عليه بمبدأ العلية أو السببية كآلية لفهم وتصور الوقائع، وانطلاقا من هذه المبدأ يمكن تصور طابع ومآل الحركة الإنسانية، وينبغي أن نؤكد بأن تطبيق هذا المبدأ في ظواهر الحركة الإنسانية لا ينطلق فقط من الظاهر المعلوم كتفسير أوحد بقدر ما يتطلب من يقظة في فهم كنه الحركة الإنسانية التي قد تحدث بعيدا عن الظاهر المعلوم، وهو الأمر الذي إذا لم يدركه دارسي التاريخ فإنهم قد ينخدعوا بذلك الظاهر في تفسير الأحداث، وينجروا وراء تصور وفهم لا يقود في النهاية إلى إدراك الحقيقة (داودي، 2012، ص 106).
- **قاعدة التشابه:** ويعني به قياس الماضي على الحاضر فالظروف المتشابهة تنشئ وقائع متشابهة.
- **قاعدة التطور:** أي أن الأمور تتطور بتبدل الزمان والأحوال.

- **قاعدة المطابقة:** وفيه يوجب على المؤرخ النظر في الوقائع والأخبار على ضوء العقل والطبع السليم، فما كان معقولا أدخلناه في دائرة الإمكان، وما كان غير معقولا أدخلناه في دائرة الاستحالة وقلنا ببطلانه، لذلك نجد فلسفة ابن خلدون التاريخية تعتمد بشكل جوهري على هذه القاعدة، والتي بها يمكن تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان أو الاستحالة، وهي في جوهرها تعود إلى ضرورة الفهم العميق قبل التأريخ لأصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران (طالبي، 1981، ص26)

ومن هذا الباب توجه ابن خلدون بكثير الانتقادات لمؤرخين سبقوه في نقل مادتهم التاريخية ومن ذلك تعجبه كيف أن المسعودي ينقل لنا خبر بناء الإسكندرية في قصة بعيدة عن منطق معقول، بل وتعارض قوانين الطبيعة حينما قال بأن الإسكندر لما صدّته دواب البحر عن بناء الإسكندرية وكيف أتخذ صندوق الزجاج وغاص فيه إلى قعر البحر حتى صور تلك الدواب الشيطانية التي رآها وعمل تماثيلها من أجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وعاينتها وتم بناؤها في حكاية طويلة من أحاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذه التابوت الزجاجي ومصادمة البحر وأمواجه بجرمه ومن قبل أن الملوك لا تحمل أنفسها على مثل هذا الغرور ومن اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتقاض العقدة واجتماع الناس إلى غيره وفي ذلك إتلافه (ابن خلدون، 2007، ص 54).

وفي نقله أيضا لقصة تمثال الزرزور بروما والذي تجتمع إليه الزرازير في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم، وانظر ما أبعد ذلك عن المجرى الطبيعي في اتخاذ الزيت، كل هذه النماذج من نقولات المؤرخين ما كان ينبغي أن تكون لو حققنا مبدأ المطابقة في تقصي الأخبار وتدوينها.

وينبغي أن نؤكد بأن ابن خلدون انطلق لمعرفة السنن الاجتماعية التي يجعل منها المؤرخ معيارا صحيحا يتحرى به طريق الصدق والصواب فيما ينقله، فإذا به يجد نفسه أمام علم جديد هو علم الاجتماع أو العمران البشري، وبالتالي فإنه من رحم التفكير التاريخي ولد علم الاجتماع عند ابن خلدون.

خاتمة

خلصنا في هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج المهمة نحوصها في الآتي:

- التفكير التاريخي العربي قبل الإسلام لم يكن مؤسسا وفق مناهج مقنعة وأهداف واضحة بل كان في جلّه مرتبطا بالأسطورة والخرافة والتباهي، ولم يكن يحمل قيمة اجتماعية لها دورها في التشكل المعرفي والبناء المجتمعي
- شكّل ظهور الإسلام عند العرب منعطفًا كبيرا، بما أحدثه لهم من نقلة نوعية في شتى المجالات
- الوحي القرآني حرر الفكر العربي المغلق بالعصبية إلى فضاءات ما أبعد في تصور هذا الكون
- الإسلام ربط العقيدة بالتاريخ وهو أمر مستجد في البناء الفكري العربي والإنساني عموما.
- الفهم التاريخي في ظل الإسلام أصبح بعدا إنسانيا يعود بنا إلى بدء الخليقة، ويشمل التاريخ الإنساني بكل أبعاده بما فيه البعد الجغرافي الأعم.
- أحدث الإسلام ثورة حقيقية في التصور التاريخي عند العرب، إذ حفزهم على التساؤل عن تلك الأمم السابقة ومواطنِها، وأزمانِها وصلتها ببعضِها البعض وعوامل اندثارها وما ذا يستفاد من ذلك كله.
- الوحي القرآني أكسب العرب قواعد منهجية تاريخية عميقة، دفعتهم إلى ثورة كبرى في البناء التاريخي كان قوامها التمحيص والتدقيق في الخبر التاريخي قبل اعتماده، وهو الأساس الذي بني عليه ما يعرف بالمنهج التاريخي، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ سورة الحجرات، الآية 6، وقوله عليه الصلاة والسلام : " إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث" متفق عليه، وقوله أيضا:" كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما يسمع" رواه مسلم وغيره.
- المستجدات التي حدثت عند العرب في ظل الإسلام دفع بالفكر والكتابة التاريخية عندهم إلى مدارج لم تصلها الكتابة التاريخية من قبل ومن تلك المستجدات: (التقويم الهجري، التطور الشعري والأدبي، ظهور علمي التفسير والحديث).

– تعد ابداعات العلامة عبد الرحمان ابن خلدون لحظة فارقة في تاريخ الكتابة التاريخية ليس عند العرب وحدهم فقط بل للإنسانية جمعها، لأنها كانت لحظة خلاقة لفجر كثير من العلوم، كان حجر الزاوية فيها ميلاد المنهج التاريخي.

المراجع

1. القرآن الكريم
2. الجواليقي أبو منصور، 1969. المعرب من الكلام الأعجمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط.8، مطبعة دار الكتب
3. السخاوي شمس الدين، 1986، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تح: فرانز روزنثال، تر: صالح أحمد العلي، ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت.
4. ويدجري آلبان، 1996. التاريخ وكيف يفسرونه، من كنفوشيوس إلى توينبي، ترجمة عبد العزيز توفيق، ج.1، القاهرة.
5. ابن منظور محمد، 2003. لسان العرب، ج.1، دار صادر، بيروت، لبنان.
6. البيروني أبو الريحان، (د.ت). الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبعة سخاو.
7. الخوارزمي أبو عبد الله، (د.ت). مفاتيح العلوم، ط.1، طبعة فان فلوتن.
8. الشرقاوي عفت، 1976. أدب التاريخ عند العرب، ج.1، القاهرة.
9. كب، 1981. علم التاريخ، ترجمة (ابراهيم خور رشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان)، ط.1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
10. خضر عبد العليم عبد الرحمن، 1995. المسلمون وكتابة التاريخ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي.
11. عبد الرحمان بن خلدون، 2007. المقدمة، اعتناء هيثم جمعة هلال، ط.1، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.
12. الحوري محمود، 2001. منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة.
13. كامل حيدر، 1995. منهج البحث الأثري والتاريخي، ط.1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان.
14. النجار حسين فوزي، 1974. التاريخ والسير، المكتبة الثقافية.
15. بارنز هاري إلمر، (د.ت). تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة: محمد عبد الرحمن برج، ج.1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
16. الرازي محمد بن أبي بكر، 1983. مختار الصحاح، دار الرسالة، كويت.
17. الزبيدي محمد مرتضى، (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس، ط.2، طبعة الكويت.
18. الزيات ابراهيم مصطفى وآخرون، (د.ت). المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج.2.
19. سارتون جورج، تاريخ العلم، ترجمة مجموعة من العلماء: اشراف: إبراهيم مدكور وآخرون، ج.1، دار المعارف، القاهرة، ص.66.

20. سالم عبد العزيز، 1981. التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
21. بتار ولد العربي ولد معط الله، 2006. نشأة التاريخ عند العرب المسلمين، مجلة الفسطاط.
22. ابن كثير إسماعيل، 2002. التفسير، ج.2، دار طبنة.
23. مالك بن نبي، 1986. شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق.
24. شاكر مصطفى، 1979. التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط2.
25. ابن حزم، 1977. جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، مصر.
26. ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب، (د.ت). الفهرست، طهرا30ـ.
27. البلاذري أحمد بن يحيى، 1988. فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
28. الدوري عبد العزيز، 2005. نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان).
29. الناجي أحمد، 2008. مجلة الحوار المتمدن، العدد 2342، محور الأدب والفن.
30. الطحان محمود، (د.ت). أصول التخريج ودراسة الأسانيد، ط.3، مكتبة المعارف .
31. طالبي محمد، 1981. منهجية ابن خلدون التاريخية، ط.1، دار الحداثة.
32. داودي مصطفى، 2012. الربيع العربي بين الذات والاختطاف كيف نفهمه، مجلة دراسات وأبحاث، ع.1، جامعة الجلفة.
33. داودي مصطفى، 2012. الترجمة في الأندلس ودورها في النهضة الأوروبية الحديثة،ط.1، دار التنوير، الجزائر.
34. داودي مصطفى، 2020. مطبوعة علمية لمقياس مدارس تاريخية لطلاب الماستر تاريخ، تخصص المقاومة والحركة الوطنية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة.